مشرقيات

فى الأدب العربى الحديث

للأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكى

الأستاذ بجامعة ليننجراد

تمهيد : امتاز الأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكى صاحب هذا البحث بدقتـه وسعة مداركه ، وتسامیه عن المواضيع المطروقة ؛ وهو لا يفرق مطلقا بين الآداب العربية وبين الأمة التى أنتجت هذه الآداب

وقد لا أعرف بين علماء المشرقيات فى أوربا من توفر على دراسة الأدب العربى الحديث غيره وغير البروفسور جب صاحب الدراسات الوافية فى القصة المصرية والأدباء المعاصرين ، والأستاذ كامفماير الألمانى مؤلف كتاب «قادة الأدب العربى الحديث» ، والمستشرق السويسرى الدكتور ويدمار الذى يذيع دراسات مستقلة عن الأدباء والشعراء المعاصرين ، كمحمود تيمور والزهاوى ، والمستشرق نيفل باربور الذى كتب دراسة وافية عن المنفلوطى وعن تاريخ المسرح المصرى ، وكذلك المرحوم مارتين هارتمان المتوفى لأعوام قلائل ، فاليه يعود الفضل فى تنبيه علماء أوربا إلى الأدب العربى الحديث

وقد زار العلامة كراتشقويفسكى مصر وسوريا وفلسطين عام ١٩٠٨ ، وانكب فى خلال اقامته بهذه الأقطار على دراسة آدابها الحديثة ، ومكث بها فترة طويلة بمدرسة اليسوعيين فى بيروت . وظهرت نتيجة زيارته ودراسته فى بحث ممتع قرأته له منذ أعوام ناشد فيه الأدباء المعاصرين أن يدونوا تراجمهم ويدرسوا آثارهم

وللأستاذ أيضاً يعود الفضل فى تعريفنا بالعالم المصرى المرحوم الشيخ محمد عياد الطنطاوى المدفون فى مدينة بطرسبرج (لينجراد) ، فقد نزح هذا العالم الأزهرى منذ نحو قرن تقريباً إلى روسيا ليدرس الأدب العربى فى جامعاتها ، ووافاه الأجل وهو هناك فدفن فى الأراضى الروسية ، ويوجد رسم فوتوغرافى لقبره فى الخزانة التيمورية ، وقد نقشت بعض عبارات بالعربية على شاهد القبر تفيد هذا المعنى

وقد ظهر أول بحث علمى للأستاذ كراتشقويفسكى عن « شاعرية أبى العتاهية » وضعه عام ١٩٠٦ ، فرسالة « خلافة المهتدى » التى تقدم بها إلى الجامعة للحصول على درجة علمية ، فكتاب « المتنبى وأبو العلاء المعرى » وهو بحث ممتع دقيق فيما كان للمتنبى من التأثير فى فلسفة أبى العلاء وشعره وبالأخص فلسفة التشاؤم الغالبة فى شعر فيلسوف المعرة وفى آرائه الدينية ، ودراسة عن شعر الشاعر الدمشقى « أبى الفرج الوأواء » ، وترجمة ديوانه ، وكتاب « البديع لابن المعتز » ، ودراسة عن « الرواية التاريخية فى الآداب العربية المصرية » ، ثم هذا البحث الممتع الذى نشره فى الملحق الأول من دائرة المعارف الاسلامية

ومما يجدر بنا ذكره أن العلامة كراتشقويفسكى أشرف على ترجمة كتاب « الأيام » لطه حسين ، و « عودة الروح » لتوفيق الحكيم إلى الروسية ، وهو يشغل الآن كرسى أستاذ الأدب العربى بجامعة ليننجراد ، تعاونه فى مهمته سيدة فلسطينية هى كلثوم فاسيلفا التى وقفت جهودها على نقل الآثار النفيسة فى الأدب العربى إلى الروسية (المترجم)

* * *

١ — لمحة عامة — عوامل التقدم — العصور

ليس من اليسير على الباحث المحقق أن يعثر على بعض آثار النهضة الأدبية فى العصور السابقة للقرن التاسع عشر . فانها كانت مجرد مظاهر فردية الغرض منها إحياء الفنون اللغوية القديمة ، دون محاولة التجديد فى الأدب ؛ وكان من جراء الروابط المتينة التى نشأت بين الأقليات المسيحية فى سوريا ودوائر روما واستامبول أن نزعت مدرسة أدبية خاصة ، يتصدرها مطران حلب الماروني السيد جرمانوس فرحات (١٦٧٠ — ١٧٣٢) ؛ إلا أن العرب لم يتأثروا بالتيارات الفكرية فى أوربا إلا بعد الحملة الفرنسية (١٧٩٨ — ١٨٠١) . فاذا أردنا أن نبين مظاهر الثقافة الأوربية التى تركت أثراً أعمق من غيرها فى التفكير العربى ، ألفيناها فى الوصف الذى أورده الجبرتى لأول مطبعة حروف ، ورأيناه فى أول مكتبة نظمت على النمط الأوربى فى دار الشيخ حسن العطار (١٧٦٦ — ١٨٣٤) الذى أصبح فيما بعد شيخ الجامع الأزهر . وإن فى هذين المثلين فكرة عن بعض العوامل

التى قامت بدور هام فى تكوين الأدب العربى الحديث ، وقد أنشئت فى ذلك الحين دور جديدة للعلم على الطراز الأوربى ، فأنشأ محمد على الكبير مدارس لتعليم الطب والعلوم الفنية بنوع خاص ، لكنها خصصت أيضاً لتدريس فن الترجمة . أما فى سوريا فقد عملت الرسالات الأوربية والأمريكية العديدة عملاً مجدياً فى هذا السبيل ، فأسست مدارس منوعة ، وراح الأهلون ينسجون على منوالها فى إنشاء دور العلم . فكانت مدرسة بطرس البستانى (١٨١٩ — ١٨٨٣) أولى المدارس الوطنية . وفى خلال القرن التاسع عشر أدخلت على تلك المدارس تعديلات عدة ، فأصبح للبلاد العربية الآن مجموعة رائعة من المعاهد العلمية الكبرى التى أحدثت أثراً مباشراً أو غير مباشر فى تقدم الأدب الحديث . وإنا نذكر منها الجامعة الأمريكية ، وجامعة القديس يوسف ببيروت ، والجامعة المصرية بالقاهرة . ثم انتعشت حركة البعثات العلمية فأكملت ما قامت به المدارس من الخدمات . وهنالك وصف طريف لأولى البعثات التى أرسلها محمد على الكبير ، وهذا الوصف الشائق بقلم أحد المبعوثين ، رفاعة بك الطهطاوى (١٨٠٠ — ١٨٧٣) الذى أصبح فيما بعد مترجماً مجتهداً ، واحتل مكانته الأدبية كزعيم من زعماء الاتجاه الجديد . وقد اتخذت تلك البعثات صبغة منظمة ابتداء من مستهل القرن العشرين . ومن السهل استجلاء أهميتها فى تكوين الثقافة العربية إذا اطلعنا على الرسائل التى قدمها شباب العلماء العرب فى جل السنوات (خصوصاً إلى الجامعات الفرنسية) . وفيما عدا الطباعة التى كانت معروفة فى سوريا منذ فجر القرن الثامن عشر ، دون أن يكون لها أثر كبير ، فقد أدخلت الحملة الفرنسية إلى مصر عنصرا جديداً وهو الصحافة الدورية . لكن أثرها ظل فى حيز ضيق إلى أن كانت سنة ١٨٢٨ حين أعاد تنظيمها محمد على الكبير . وكان لها الفضل العميم فى تقدم الأدب الحديث ، إذ وجهت بعض الأنواع الأدبية وجهات جديدة كما ساعدت على ظهور أنواع أخرى . وكان الاقبال المتواصل على الترجمة مرتبطا تمام الارتباط بالطباعة . واستهلت الحركة بترجمة الكتب العلمية ثم شرع فى نقل الكتب الأدبية البحتة . وكما أن بعض الكتب القديمة كمؤلفات ابن المقفع والجاحظ كان من الصعب نقلها إلى اللغات الأخرى لولا مترجمو العصر العباسى ، فان الأدب العربى الحديث كان مستحيل النشوء لولا مترجمو القرن التاسع عشر . وللمرة الأولى فى التاريخ أصبح الأدب القديم فى متناول القراء بفضل الطباعة . وقد شرع فى خلال العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة فى دراسة هذا الأدب دراسة صحيحة مؤسسة على القواعد الحديثة . وقد قامت هذه الحركة على أساس أنه لا يجوز نبذ الأدب القديم كله لتشييد أدب عربى حديث ، بل يتعين الاحتفاظ بجزء كبير من الأدب القديم واعادة تنظيمه . وقد تأسست دور كتب على النمط الأوربى فسهلت تلك الدراسات المنظمة وساعدت على نشر الكتب القديمة . وإلى جانب الصحافة الدورية ، قامت المنتديات والجماعات العلمية والسياسية والأدبية تدريجياً منذ منتصف القرن الماضى فأحدثت أثراً عميقاً فى الجو الأدبى . بل إن النثر الخطابى نشأ وتدرج فى تلك المنتديات . أما المسرح فلم يكن له حظ يذكر ، فقد ظهرت بواكيره فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر بفضل جهود بعض الهواة ، لكنه لم يعتبر مظهراً جدياً من مظاهر الفن إلا فى القرن العشرين إذ برزت طائفة من الممثلين الأكفاء يرشدهم فريق من النقدة المسرحيين

وللهجرة أهمية خاصة ترجع إلى تقلبات مصير العرب فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وذلك لاعتبارات متنوعة من سياسية واقتصادية . ولقد سارت الهجرة جنباً لجنب مع الأدب العربى الحديث منذ فجره حتى اليوم ، سارت منذ غداة الحملة الفرنسية إذ نزحت بعض الأسر عن مصر وأقامت فى فرنسا ، كيخائيل صباغ (١٧٨٤ — ١٨١٦) والياس بقطر (١٧٨٤ — ١٨٢١) . وكثير من أولئك المهاجرين كانوا أساتذة الآداب العربية فى جامعات أوربا كالشيخ الطنطاوى المدفون ببطرسبرج (١٨١٠ — ١٨٦١) وكان جل اهتمامهم موجهاً إلى إحياء الأدب القديم ، إذ أن الأدب العربى الحديث كان فى مستهل نهضته فلم يثر اهتمام المستعربين وعلماء المشرقيات . لكن الحالة تطورت بعد سنة ١٨٧٠ إذ تدفق سيل المهاجرين تدفقاً كبيراً (خصوصاً النازحين من سوريا) لا إلى أوربا فحسب ، بل إلى أمريكا الشمالية والجنوبية . وكان لهجرة هذه العناصر أهمية عظمى فى تكوين الأدب العربى الحديث ، إذ ظهر جيل من الكتاب بدأوا دورهم على مسرح الأدب وإن لم ينتهوا إلى الآن

استناداً إلى هذه العوامل يمكن القول بأن تاريخ الأدب

العربي الحديث ليس إلا تاريخ النفوذ الأوربي ، فقد اتجه هذا الأدب اتجاهين رئيسيين : النضال بين الأفكار القديمة وبين الأفكار الحديثة ، والمشكلات التي نشأت من طابع الفن الأدبي الحديث . وقد اتخذ هذا النضال أشكالاً متباينة في المضمار الأدبي ، فشوهدت في كل مرحلة تقلبات تختلف عن الأخرى . وأهم الميول التي ظهرت بجلاء هي أولاً : الاحتجاج على كل جديد ومحاولة البقاء في دائرة القديم ، وإحياء الأساليب القديمة . ثانياً : السير سيراً سطحياً على منوال الأوربيين وتقليد أفكارهم ، واحتقار الماضي العربي بأسره . ثالثاً : محاولة صبغ الأصول الصحيحة للأدب العربي بأشكال جديدة مبتكرة من أساسها ، مع اتخاذ الطرق الأوربية والثقافة الغربية وسيلة للوصول إلى هذا الغرض . ولا تزال هذه الميول قائمة حتى الآن جنباً لجنب

ويلاحظ أن الفريق الأخير هو الذي فاز بأوفى عدد من الأنصار . وبديهي أن مصير العرب السياسي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أثر تأثيراً كبيراً في التيار الأدبي . فتاريخ هذا العصر هو تاريخ الانفصال تدريجياً عن تركيا (سواء من الوجهة السياسية أو الأدبية) ونشأة الروح القومية العربية التي اجتازت مراحل نموها بخطوات تختلف سرعتها باختلاف البلاد . وقد شاهدنا في الأيام الأخيرة أن تقدم الروح القومية أدى إلى نزعة فردية عند بعض الأمم العربية . أما في ميدان الأدب فان تلك النزعة تنمو وتقوى في مصر حيث يدعو بعض المفكرين إلى تمصير اللغة وإحياء الأدب القومي

* * *

إن من الصعب تقسيم الأدب العربي في القرن التاسع عشر إلى عصور تميزه تميزاً واضحاً ، فقد كان الانتاج الأدبي في حد ذاته إلى عام ١٨٨٠ تافهاً نوعاً ، بل إن العرب أنفسهم كانوا لا يذكرون أسماء كتابهم ، ذلك لأن مؤلفات هؤلاء الكتاب لا قيمة لها إلا في نظر معاصريهم ، فهي مرآة لأفكار عصرهم ومشكلاته ، وأهميتها اليوم لا تعدو أن تكون تاريخية بحتة . بل هو عصر بحث واستطلاع أكثر منه عصر إنشاء أدبي

ويمكن تحديد هذا العصر بخمس قرن ، أي من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٩٠ ، ثم من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٠٠ ، وهي الفترة التي اختفى فيها من المضمار الجيل الأول لناشري النور الجديد ودعاة الأدب الغربي ، وكانت كل من سورية ومصر تعملان وقتئذ مستقلتين ، فالتفتت مصر إلى المضمار العلمي بنوع خاص ، أما سوريا فوجهت اهتمامها إلى ميدان اللغة والأدب ، وبرز في كل من البلدين رجال عظماء كبطرس البستاني في سوريا ، ورفاعة الطهطاوي ، وعلي مبارك (١٨٢٤ — ١٨٦٣) ، وعبد الله فكري (١٨٣٤ — ١٨٩٠) بمصر ، وفي البلاد غير العربية امتاز العصر بظهور بعض الكتاب النوابغ كأحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ — ١٨٨٧)

في هذه الفترة أنشئت الصحافة الدورية وتكون الأسلوب الصحفي ، وشهدت السنوات العشر المتخللة بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٧٠ تغيرات خطيرة في مركز الأدب العربي الحديث ، فحوادث دمشق في سنة ١٨٦٠ ، واستقلال لبنان استقلالاً داخلياً من جهة ، وافتتاح قنال السويس (١٨٦٩) ، ثم نشوب الثورة العرابية (١٨٨٢) أدت إلى احتلال القطر المصري من جهة أخرى ؛ كل هذه العوامل ساهمت في تعديل الطرق التي سار عليها الادب . ولقد اتسع نطاق الهجرة السورية إلى مصر اتساعاً كبيراً في الفترة من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٠٠ ، فانتقلت إلى أيدي السوريين جميع الصحف الاصلاحية القوية النفوذ

(يتبع)

ترجمة محمد أمين حسونة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

موسى بن ميمون

حياته ومصنفاته

أخرجت اللجنة كتاباً حديثاً عن موسى بن ميمون حياته ومصنفاته للدكتور إسرائيل ولفنسون أستاذ اللغات السامية بدار العلوم والجامعة المصرية ، ويبحث هذا الكتاب في علاقة الفلسفة اليهودية بالحضارة الاسلامية في القرون الوسطى كما يبين حالة التفكير الاسرائيلي الفلسفي في عصر موسى ابن ميمون ، والكتاب مصدر بمقدمة للأستاذ مصطفى عبد الرازق أستاذ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية

ويباع بدار اللجنة رقم ٩ شارع الكردماسي بعابدين بالمكاتب الشهيرة وثمنه ١٢ قرشاً